جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه/ لغة

معاني الأبنية

معاني أبنية الصفة المشبهة ودلالتها

أ.د. خولة محمود فيصل

الصفة المشبهة تدل على الثبوت، ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم، فعندما نقول: (زيدٌ طويل) فيعني ذلك أن صفة الطول ثبتت في صاحبها على وجه الدوام. فإذا أردنا التجدد والحدوث حولنا الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل. فعند قولنا: (زيدٌ كريم) أي: هو متصفٌ بالكرم على وجه الاستمرار، فإذا أردنا وقوع الكرم منه في الغد قلت: (هو كارمٌ غدًا) ولا تقول: (هو كريمٌ غدًا) ، فإذا وقع منه كرمٌ في الماضي قلت: (هو كارمٌ أمس) ولا تقول: (هو كريمٌ أمس) . جاء في (التصريح) : "أنك إذا أردتَ ثبوتَ الوصفِ قلت (حسنٌ) ولا تقول (حاسن) وإن أردت حدوثه قلت (حاسنٌ) ولا تقول(حسنٌ)" .

وقال رضي الدين الاستراباذي: "الثبوت أي الاستمرار واللزوم ... ولهذا اطرد تحويل الصفة المشبهة إلى فاعل: كحاسن وضائق عند قصد النص على الحدوث .." . والذي يظهر أن الصفة المشبهة لا تدل على الثبوت دائمًا، فمنها ما يدل على ذلك، كقولهم: (أبكم وأصم وأفطس وطويل وقصير ودميم) وقد تدل على وجهٍ قريبٍ من الثبوت، نحو: (نحيف وسمين وبليغ وكريم) ولا تدل على الثبوت في نحو: (ظمآن وغضبان وريان) . فإن قيل: فما الفرق إذن بين اسم الفاعل والصفة المشبهة التي لا تدل على الثبوت مثل ظمآن وظامئ؟ فنقول: إن الصفة المشبهة لا تطلق إلا إذا اتصف بها صاحبها، فلا نقول هو ظمآن غدًا أو أمس بخلاف اسم الفاعل فإنه يصح فيه ذلك، فتقول: هو ظامئٌ غدًا أو أمس. جاء في (معاني القرآن) للفراء: "... وهو كريمٌ إذا كان موصوفًا بالكرم، فإن نويت كرمًا يكون منه فيما يُستقبل قلت: كارم" .

دلالات أبنية الصفة المشبهة

لا تنحصر دلالات الصفة المشبهة في دلالة واحدة، فلكل بناء منها ما يميزه عن غيره، وأشهر أبنية الصفة المشبهة ما يأتي:

ـ فَعِل (بفتح الفاء وكسر العين) : اعلم أن هذه الصيغة دالةٌ على الأدواء الباطنة نحو: وَجِع وحَبِط وعَمٍ مَن عمي قلبُه، أما إذا كان العمى في العين فهو أعمى، وتدل أيضًا على العيوب الباطنة نحو: لَحِز، أي: بخيل، ونَكِد، وشَكِس، وتدل على كل هيجانٍ أو خِفة كأشِر وبَطِر وفَرِح. جاء في شرح الرضي على الشافية: "فَعِلٌ من هذا الباب فيما يدل على الهيجانات والعيوب الباطنة" .

وجاء عند سيبويه في الكتاب: "... وقد بنوا أشياء على فَعِلَ يَفْعَل فَعَلًا وهو فَعِلٌ لتقاربها في المعاني وذلك ما تعذر عليك ولم يسهل وذلك عَسِرَ يعسَر عَسَرًا وهو عَسِر، وشَكِسَ يشكس شَكَسًا وهو شَكِس ... وقالوا: لَقِسَ يلقسُ لَقَسًا وهو لَقِسٌ، ولَحِز يلحَز لحزًا وهو لَحِزٌ، فلما صارت هذه الأشياء مكروهة عندهم صارت بمنزلة الأوجاع وصار بمنزلة ما رُموا به من الأدواء" .

وكثيـرًا مـا يُنيبـون الوصـف بصـيغة (أفْعَـل) عـن الوصـف بصـيغة(فَعِل)على أن دلالتهمـا واحـدة، فيقولـون:(شَـعِثَ وأشـعث، وجَـرِبَ وأجـرب) ، والصـحيح أن لكـلٍ منهمـا معنـى وقصـدًا، فبناء(فَعِـل) يختلـف عن(أفعـل)فـي جملـة أمـورٍ منهـا أنـه عَـرَضٌ غيـر ثابـت، وأن فيـه هَيْجًـا وأنـه فيمـا يكـره مـن الأمـور الباطنـة غالبًـا. وأما(أفعـل) فيكـون ثابتًـا وأنـه فـي العيـوب الظـاهرة، فمـن يقـول ـ مـثلًا ـ: (هـو جَـرِبٌ جعلـه بمنزلـة الـداء الـذي ابتُلـي بـه صـاحبه، فبنـاه على(فَعِـل)، ومـن يقـول هو أجرب جعله من باب الخِلقَة).

فـنخلص مـن ذلـك إلـى أن الوصـف بصـيغة(فَعِل) يـدل علـى المعنـى العـارض للـذات غيـر الراسـخ أو المسـتقر فيهـا، كفَـرِح وأَسِـف. كمـا أن هـذه الصـيغة تتصـف بصـفة الهَـيْج والخِفـة كقَلِـق وفَـرِح وأَشِـر، ويكـون هـذا البنـاء غالبًـا فيمـا يُكـره مـن الأدواء والعيوب الباطنة.

ـــ أفْعَـل: يـأتي هـذا الـوزن وصـفًا للألـوان كـأحمر وأزرق، وللعيـوب الظـاهرة نحـو: أعمـى وأجهـر وأعـور، ويـأتي وصـفًا للحُلـى مـن خِلْقـةٍ أو مـا هـو بمنزلتهـا، والمقصـود بـالحُلى العلامـات الظـاهرة للعـين نحـو: أغيـد وأهيـف وأكحـل، وأمـا مـا هـو بمنزلـة الخِلْقَـة فهـو وصـفٌ طـرأ علـى الـذات فثبـت بعـد أن كـان غيـر موجـود نحـو: الأقطـع: للمقطـوع اليـد، والأجـدع والأخـرم والأشـرم. قـال سـيبويه: "أمـا الألـوان فإنهـا تُبنـى علـى أفعـل ... وقـد يُبنـى علـى أفعـل ويكـون الفعـل علـى فَعِـلَ يفعَـل والمصـدر فَعَـل ماكـان داء أو عيبًـا لأن العيـب نحـو الـداء ففعلـوا ذلـك كمـا قـالوا: أجـرب وأنكـد وذلـك قـولهم: عـور يعـور وهـو أعـور" . فصـيغة (أفعـل) تـدل علـى أن الصـفة فـي الـذات ظـاهرةٌ ثابتـة، بخـلاف (فَعِـل) التـي تـدل علـى أن الصـفة فـي الـذات عارضـة غيـر مسـتقرة وكـذلك غيـر ظـاهرة. وعلـى هـذا لا نـذهب إلـى مـا ذكـره سـيبويه وغيـره إلـى أن (أفعـل) و (فَعِـل) قـد يتعـاوران كحَمِـقَ وأحمَق، فالبناءان مختلفان في القصد والمعنى.

ـــ فَعْـلَان: مـن أبنيـة الصـفة المشـبهة (فَعْـلَان) وتـدل هـذه الصـيغة علـى الامـتلاء والخلـو وعلـى حـرارة البـاطن نحـو: عطشـان وغرثـان وريـان. جـاء فـي كتـاب سـيبويه: "أمـا مـا كـان مـن الجـوع والعطـش فإنـه أكثـر مـا يُبنـى فـي الأسـماء علـى فعـلان ويكـون المصـدر الفَعَـل ويكـون الفعـل علـى فَعِـلَ يفعَـل وذلـك نحـو: ظَمِـئَ يَظْمَـأ ظَمَـأ وهـو ظمـآن ... وغـرث يغـرث غَرَثًـا وهـو غرثـان، وعَلِـهَ يَعْلَـهُ عَلَهًـا وهـو علهـان وهـو شـدة الغـرث والحـرص علـى الأكـل. وقـالوا سـكران لمـا كـان مـن الامـتلاء جعلـوه بمنزلـة شـبعان ومثـل ذلـك مـلآن ... وقـالوا: غضـبان غضـبى، وقـالوا: غضـب يغضـب غضـبًا جعلـوه كعطـش يعطـش عطشًـا وهـو عطشـان، لأن الغضـب يكـون فـي جوفـه كمـا يكـون العطـش ... وقـالوا: ثكـل يثكـل ثكـلًا وهـو ثكـلان وثكلـى جعلـوه كـالعطش لأنـه حـرارةٌ فـي الجـوف، ومثلـه لهفـان ولهفـى، ولهـف يلهـف لهفًـا، وقـالوا: حزنـان حزنـى لأنـه غـم فـي جوفـه كالثكـل لأن الثكـل من الحزن ..." .

فهذهِ الصيغة تدل على معانٍ، منها: دلالتها على الطروء والحدوث وعدم الثبوت، فالعطش في عطشان ليس ثابتًا، والشبع في شبعان ليس ثابتًا وإنما يزول. وكذلك دلالتها على الامتلاء بالوصف الذي تضمنته إلى الحد الأقصى، فالغضبان هو الممتلئ غضبًا، وعطشان هو الممتلئ عطشًا. ومن دلالتها أيضًا أن المتصف بهذه الصفة مصحوبٌ بحرارة الباطن غالبًا فالعطشان يتوهج باطنه وكذلك الثكلان والولهان. فالغضبان ليس هو الغاضب، فصفة الغضب في غضبان طارئة متجددة، وكذلك مشعرةٌ بامتلاء الموصوف بها من الغضب مع حرارة باطنة متقدة.

ـ فَعِيل: إن الوصف الذي يكون على هذه الصيغة دالٌ على ثبوت الوصف في صاحبه على جهة الخِلْقَة أو على جهة الاكتساب، فمن الأول نحو: طويل وقصير، ومن الثاني نحو: خطيب وفقيه، ويُبنى هذا الوصف من (فَعُلَ) المضموم العين، وهذا الفعل يدل على سجية في الموصوف أو على صفة مُتَحَول إليها، فمن أمثلة السجايا قولهم: قَبُحَ وجَمُلَ وقَصُرَ، فالقبح ـ مثلًا ـ يدل على أن صاحبه قبيح وأنه خَلْقي غير مكتسب، ومن أمثلة دلالة هذا الفعل على التحول إلى الصفات قولهم: خَطُب وفَقُه، أي: صار خطيبًا وفقيهًا. جاء في شرح الرضي على الشافية: "قال: وفَعُل لأفعال الطبائع ونحوها كحَسُنَ وقَبُحَ وكَبُر وصَغُر فمن ثمة كان لازمًا ... أقول: اعلم أن (فَعُل) في الأغلب للغرائز أي الأوصاف المخلوقة كالحسن والقبح والوسامة ... والكبر والصغر ... وقد يجري غير الغريزة مجراها إذا كان له لُبثٌ ومُكْث نحو: حَلُم وبرُع وكرُم وفحُش" .

"وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فعيل) نحو: شريف وخفيف وعلى أضدادها نحو: وضيع وكبير وصغير" . فيتضح مما سبق أن هذه الصيغة تدل على الثبوت واللزوم وأن هذه الدلالة هي أبرز ما يميز هذا البناء، فإن أردنا المبالغة في هذا الوصف حولنا إلى زِنَةِ (فُعَال) نحو: طويل وطُوال وكبير وكُبَار، فإذا أردنا المبالغة فوق ذلك ضُعفَت عينُه فقلنا: كُبار وحُسان بتشديد الباء والسين في كل من المثالين. جاء عند ابن جني في (الخصائص) : "في المبالغة لا بد أن تترك موضعًا إلى موضع إما لفظًا إلى لفظ وإما جنسًا إلى جنس، فاللفظ كقولك: عُرَاض فهنا قد تركت لفظ عريض، فعُرَاض إذًا أبلغ من عريض ..." . وجاء في شرح الرضي على (الشافية) : "والظاهر أن فُعالًا مبالغةُ فعيل في المعنى، فطُوال أبلغ من طويل، وإذا أردت المبالغة شددت العين فقلت طُوَال" . وفي (المخصص) : "رجل طويل وطُوال، فإذا أفرط في الطول: قالوا: طُوال (بتشديد الواو) . وقيل: إن ذلك قياس إذ كل فعيل يجوز فيه ثلاث لغات: فُعَال وفُعَال (بتشديد عينه) ، وقيل: بل هو كثير. كل ما مر معنا من صيغ الصفات المشبهة هي صفاتٌ مقيسة، وهناك من الصفات ما هو مسموع كـ (فُعْل) نحو: حُر وصُلب، و (فَعْل) نحو: فَخْم وضَخْم، و (فَعَل) نحو: حَسَن وبَطَل، و (فَعَال) نحو: جبان وجواد، و (فِعَال) نحو: هِجَان

وكِنَـاز، وأغلبُهـا مصـوغٌ مـن (فَعُـل) الـذي قياسـه علـى (فعيـل) وتـدل هـذه الصـيغ المسـموعة علـى مـا تـدل عليـه (فعيـل) مـن الدلالـة علـى الثبـوت." و (فُعَـال) بضـم الفـاء أبلـغ مـن (فِعَـال) بالكسـر، و (فِعـال) بالكسـر أبلـغُ مـن (فَعـال) ، وذلـك لأن الضـمة أقـوى مـن الكسـرة، والكسـرة أقـوى مـن الفتحـة. والـذي يـدل علـى أن الضمة أقوى الحركات ما يلي:

1- المغالبـة: معنـى ذلـك أن الفعـل المضـارع تُضـم عينـه إذا ذُكِـر فـي سـياق المغالبـة - وهـي عـادة مـا تكـون بـين اثنـين - فتلـزم عـين المضـارع الضـمة، وإن كـان فـي الأصـل غيـر مضـموم نحـو: غلَـب يغلِـب، فعـين المضـارع هنـا مكسـورة، فـإذا جـاء فـي سـياق المغالبـة قلـت: غـالبني فغلبتُـهُ فأنـا أغلُبُـه - بالضـم - ونحـو: سـبق يسـبِق - بالكسـر -، فـإذا جـاء للمغالبـة قلـت: سـابقني فسـبقته فأنـا أسـبقُهُ. فـإلزام عـين المضـارع الضـمة حـال مجيئـه فـي سـياق المغالبـة دلالـة علـى أن الضـمة أقـوى الحركات.

2- التحـول فـي الصـفات: إذا أردنـا جعـل الصـفة ملازمـةً لصـاحبها مـن خـلال التعبيـر بالفعـل جُعلـت تلـك الصـفة علـى زِنـةِ (فَعُـل) فمجـيء الفعـل علـى هـذا الـوزن يـدل علـى أن الصـفة راسـخةٌ فـي صـاحبها، نحـو: خطَـب وخَطُـب، وبلَـغ وبلُـغ، فـالتعبير عـن الصـفات اللازمـة والغرائـز الثابتـة بصـيغة (فَعُـل) دليـلٌ علـى أن الضمة أقوى الحركات.

3- التحويـل لقصـد المـدح والـذم: قـد يُعبـر عـن الوصـف بصـيغة (فَعُـل) لإرادة المـدح أو الـذم، فـإذا أردنـا جعـل الفعـل الثلاثـي مُشـعِرًا بالمـدح أو الـذم حولنـاه إلـى (فَعُـل) أيـا كانـت حركـة عينـه فـي الأصـل، فيأخـذ فـي هـذه الحالـة أحكـام نعـم وبـئس، نحـو: فهِـم خالـدٌ المسـألة، فـإذا أردت مدحـه بـالفهم قلـت: فَهُـمَ الرجـلُ خالدٌ.

4- التحويـل للتعجـب: للتعجـب صـيغتان قياسـيتان، وهمـا: مـا أفعلـه وأفعِـل بـه، ويجـوز فـي كـل فعـل ثلاثـي أن يـأتي علـى صـيغة (فَعُـل) لقصـد التعجـب نحـو: فهِـم محمدٌ، فإذا أردت التعجب من فهمه قلت: فهُم محمدٌ.

5- المرويـات اللغويـة: إن المرويـات اللغويـة تـدل فـي أكثـر الأحيـان علـى أن الضـمة أقـوى مـن غيرهـا، قـال ابـن جنـي: "الـذِل فـي الدابـة ضـد الصـعوبة، والـذُل للإنسـان ضـد العـز، وكـأنهم اختـاروا للفصـل بينهمـا الضـمة للإنسـان والكسـرة للدابـة لأن مـا يلحـق الإنسـان أكبـر قـدرًا ممـا يلحـق الدابـة واختـاروا الضـمة لقوتهـا للإنسـان والكسـرة لضـعفها للدابـة. ولا تسـتنكر مثـل هـذا ولا تَنْـبُ عنـه فـإن مـن عـرف أَنِـسَ ومـن جهِـل اسـتوحش، وقـد مـر بنـا مـن مثـل هـذا مـا لا يُحصـى كثـرة. ومـن ذلـك قـولهم: حـلا الشـيءُ فـي فمـي يحلـو، وحَلِـي بعينـي، فاختـاروا البنـاء للفعـل علـى فعـل فيمـا كـان لحاسـة الـذوق لتظهـر فيـه الـواو. وعلـى فَعِـل فـي حَلِـيَ

يحلَى لتظهر الياء والألف وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو لأن حصة الناظر أضعف من حس الذوق بالفم" .

ـ قد يُعدَل من صيغةٍ إلى صيغةٍ أخرى للتمييز بين معنيين نحو:
رجلٌ سَكْت وسَكِت، فـ (سَكْت) للكثير السكوت، و (سَكِت) لقليل الكلام فإذا تكلم أحسن. ومثله حصين وحَصَان، جاء في (المخصص) قال سيبويه: "امرأة حصان على نحو قولهم: بناء حصين في المعنى، أرادوا أن يخبروا أن البناء محرزٌ لمن لجأ إليه وأن المرأة مُحرزة لفرجها وخالفوا فيه بين البنائين ... وكذلك قالوا: فرس حصان لأنه محرزٌ لفارسه ... وقال سيبويه أيضًا: الرزين من الحجارة والحديد، والمرأة رزان فرقوا بين ما يُحمَل وبين ما ثَقُل في مجلسه فلم يخف ... وقال أبو علي: القول في الثَقال والثقيل كالقول في الرزان والرزين".